

مع القلوب الصخرية

الكاتب: إبراهيم السكران



مع القلوب الصخرية: الحديث عن قسوة القلب حديث ذو شجون، ومن رزايا هذا الزمن أن صرنا لا نستحي من المناصحة عن قسوة القلب بينما قلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة... لكن دعنا يا أخي ندرش دردشة المحبوسين يتشاجون لبعضهم كيف يهربون من معتقلات خطاياهم...
يا أخي والله لقد قرأت كثيرًا كثيرًا في كتب الرقائق والإيمانيات والمواعظ، وجربت كثيرًا من الوسائل التي ذكروها، وأصدقك القول أنني رأيتها محدودة الجدوى، لا أنكر أن فيها فائدة، لكن ليست الفائدة الفعلية التي كنت أتوقعها، ووجدت العلاج الحقيقي الفعال الناجع المذهل في دواء واحد فقط، دواء واحد لا غير، وكلما استعملته رأيت الشفاء في نفسي، وكلما ابتعدت عنه عادت لي أسقامي، هذا العلاج هو بكل اختصار (تدبر القرآن).
دع عنك كلما يذكره صيادلة الإيمان، ودع عنك كل عقاير الرقائق التي يصفونها، واستعمل (تدبر القرآن) وسترى في نفسك وإيمانك وقوتك على الطاعات وتأبيك على المعاصي وراحة نفسك في صراعات المناهج والأفكار شيئًا لا ينقضي منه العجب.

كل تقصير يقع فيه الانسان، سواء كان تقصيرًا علميًا بالتأويل والتحريف للشريعة، أو كان تقصيرًا سلوكيًا بالرضوخ لدواعي الشهوة، فإنه فرع عن قسوة القلب.

وهل تعلم كيف تحدث قسوة القلب؟ قسوة القلب ناشئة عن البعد عن الوحي، ألا ترى الله تعالى يقول: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ^ط وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد: 16]...
أرأيت يا أخي؟ إنه طول الأمد...!

لما طال بهم الأمد قست قلوبهم... ولو جددوا العهد مع الوحي لحيت قلوبهم...

فإذا قسا القلب تجراً الانسان على الميل بالشريعة مع هواه... وإذا قسا القلب
تهاون الانسان في الطاعات واستثقلها... وإذا قسا القلب عظمت الدنيا في
عين المرء فأقبل عليها وأهمل حمل رسالة الاسلام للناس... وإذا قسا القلب
ضعفت الغيرة والحمية لدين الله...
وما العلاج إذا؟

العلاج لما يحيك في هذه الصدور هو مداواتها بتدبر القرآن... بالله عليك
تأمل في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا
فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} [يونس: 57]... هكذا تقدم الآية المعنى
بكل وضوح {وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ}...
ولكن ما الذي في الصدور؟!

في الصدور شهوات تتشوف... وفي الصدور شبهات تنبح... وفي الصدور
حجبٌ غليظة... وفي الصدور طبقات مطمورة من الرين {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَيَّ
قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين: 14]...

وهذه الدوامات التي في الصدور دواؤها كما قال الله {قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن
رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ} [يونس من الآية: 57]...

فإذا شفيت الصدور وجدت خفة نفس في الطاعات... وإذا شفيت الصدور
انقادت للنصوص بكل سلاسة ونفرت من التأويل والتحريف... وإذا شفيت
الصدور تعلقت بالآخرة واستهانت بحطام الدنيا... وإذا شفيت الصدور امتلأت
بحمل هم إظهار الهدى ودين الحق على الدين كله...

وأعجب من ذلك أنه إذا شفيت الصدور استقرمت الأهداف الصغيرة... تلك
الأهداف التي تستعظمها النفوس الوضيعة... الولوج بالشهرة... وحب
الظهور... وشغف الرياسة والجاه في عيون الناس... وشهوة غلبة الأقران...
النفوس التي شفاها هذا القرآن... ترى كل ذلك حطام إعلامي ظاهره لذيذ فإذا
جرب الانسان بعضه اكتشف سخافته... وأنه لا يستحق لحظة من العناء
فضلاً عن اللهات سنوات... فضلاً عن تقبل أن يقوم المرء بتحريف الوحي
ليقال فلان الوسطي الراقي الوطني التنموي الحضاري النهضوي التقدمي...
الخ من عصائب الأهواء التي تعشي العيون عن رؤية الحقائق...

هل تظن يا أخي أن تحريف معاني الشريعة لا صلة له بقسوة القلب؟! أفلا تقرأ
معني يا أخي قوله تعالى {وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ} [المائدة من الآية: 13] ...

على آية حال... دعنا نعيد قراءة آية الشفاء {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُمْ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} [يونس: 57]
يا الله... هل قال الله {شِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ}... نعم إنه شفاء لما في
الصدور... هكذا بكل وضوح...

هذا القرآن يا أخي له سحر عجيب في إحياء القلب وتحريك النفوس وعمارتها
بالشوق لباريها جل وعلا... وسر ذلك أن هذا القرآن له سطوة خفية مذهلة في
صناعة الاخبات والخضوع في النفس البشرية كما يقول تعالى {وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ} [الحج من
الآية: 54]..

فإذا أخبت النفوس... وانفعلت بالتأثر الإيماني... انحلت قيود الجوارح...
ولهج اللسان بالذكر... وخفقت الأطراف بالركوع والسجود والسعي لدين
الله... كما يصور الحق تبارك وتعالى ذلك بقوله {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ
كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ
وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ} [الزمر من الآية: 23] لاحظ كيف تقشعر... ثم تلين...
إنها الرهبة التي تليها الاستجابة... وذلك هو سحر القرآن...

الكلمات المفتاحية:

#إبراهيم-السكران #القلوب-الصخرية

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعنى بالضرورة تركية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.